(٦)

العبد لله

الحق المحمد والنبأ العظيم

للناس رب راحم، وملك خادم وحق حاضر

حديث الجمعة

١٤ ربيع الأول ١٣٨١ هـ - ٢٥ أغسطس ١٩٦١ م

اليوم نحيِّي الذكرى لمن سمعناه، ونحيِّي صاحب الذكرى على ما شهدناه، ونسأل الله أن نحيا بهذه الذكرى وقد آمناه، وبصاحب هذه الذكرى وقد عشقناه.

نحيِّي في ذكره الزمان الحي، فيحيي فينا الزمان من شهر مولده مبعوثا، فنحيي فيه المكان الحي فنحيي أرض مولده بحياة قلوبنا وليدة، ونحيي فيه المعنى الحي من معاني إنسانه، فنحيي به في سموات تواجده من عالم وجوده، ونبعث في أرض توالده من عوالم تواجده.

نرانا ونراه، ونرى به إلى معنانا من معناه، نراه سيدنا بسيده، ومولانا بمولاه فنعمَّ هو مولانا ونعمنا ونعم مولانا مولاه. نحن عبيده وعبيد لمعبوده ورفيقه ومن هو لنا عين معناه. لا نتخذه ربا من دون ربه أو من دون الله. ولا نرانا عبادا له من دون ربه أو من دون الله. فإن لم يكن في مستوانا فقد دانانا، وأنا لنرانا عبيدا بشرف معناه، نحيا به بنا مبعوثا، ونتابعه مرفوعا، ونستهديه ونحل في داره موضوعا، فنكون من أهله شافعا ومشفوعا، أبناءً له أو تبعا له أو خدماً له أو عبيداً له.. هو أولى بنا من أنفسنا مؤمنين، وأزواجه أمهاتنا مرحومين، وبيته مأوانا مقربين، وكماله منجانا مغفورين، ووصلته غايتنا مجاهدين، وربه إلهنا موحدين.. خلقنا فسوانا مسلمين.. من ورائنا محيط عاملين، نحن له وجوه منيبين متوكلين، أقرب إلينا من حبل الوريد متطورين سالكين، بحكمته وعزته ورحمته وقدرته متخلقين أبناءً له، نحن له في وجوه وجوده مجددين، وجوها خالدة متعددة متجددة لرب العالمين.

تمر بنا الأيام، وتمر بنا الذكرى في كل عام من الغافلين، ولكن المؤمنين منا لا تمر بهم الأيام، ولا تمر بهم الذكرى، ولكن فيهم تسير الأيام وفيهم تسير الذكرى.. تحيا الأيام فيهم بهم مع أنفاسهم،

وتتجدد الذكرى فيهم مع خواطرهم، لا ينقطع لهم خاطر عن رسول الله.. خواطرهم وآراؤهم وقيامهم ومعانيهم عاطرة بذكره. وأيامهم مشغولة بفعله وأمره، لا ينقطعون عنه، ولا يغيب عن نواظرهم وأسماعهم وقلوبهم، يرونه في أنفسهم وفيما حولهم من الوجود رسولا وعلما على ما وراءه من الموجد. هؤلاء هم المؤمنون حقا.

يعرفون الله ورسوله في معرفتهم عن أنفسهم من معانيهم. كراسي سلطانهم سلطانه وعروش وجودهم وجوده، ومظاهر ووجوه أمرهم أمره. صديقون لكتاب الله على ظاهر لفظه لأنهم يؤمنون ويصدقون أن قدرة الله لا تقاس بقدرتهم، ولا تحاط بعقولهم، ويعرفون أن كلام الله يغاير كلام خلقه وإن جاء في مظهر ثوبه من اللفظ. وهم بإيمانهم بالله يؤمنون ويعلمون أن كلام الله ليس لفظا ولكنه نور يمس القلوب إذا تطهرت، وأن الله مطورهم ومغيرهم على ما يشاء وكيفما شاء، وهو الصمد في ذاته، والصمد في فعله، والصمد في صفاته.. يغير ولا يتغير، يبدل ولا يتبدل، يتعالى ولا يفارق المداناة، ويتدانى ولا يفارق التعالي والمعالاة. هو فيهم بلا حصر له، وهم فيه لا على مثال له.. يَظهَرُونه وجوها ولا يملكونه، ويقدِّرونه معاني ولا يَقْدَرونَه.. بهم يختفي على من يعلونهم وعليهم يختفي بمن دونهم من ورائهم محيط.

كان رسول الله حجاب عظمته، ومداناة رحمته، وقدم قدرته، ويد نجدته، ووجه طلعته، وحق قيامه، وخليل غيوبه، وعالم غيبه، وشهادة علمه، وكتاب حكمته، وقلم قدرته، وألواح كتابه، وأم كتبه.. يداني برحمته ويمتد بنوره، ويحيي القلوب فيستويها، ويحيي أهلها بمعناه في قيام معانيها. يُبصر به ويُسمع ويُنطق به ويُعْلِم.. فيسجد في الساجدين لعظمة ربه.. ويشرق للمحبين بجمال ربهم.. ومع هذا كله رآه في الناس في شهود موجوده واختفى عليه في أمته لشهود معبوده.

هذا من نحتفل اليوم بذكره، وبمولد له من موالد.. نحتفل بذكرى حياة له من حيوات.. وبذكرى طلعة له من طلعات.. وبذكرى سفور ذكر لله من إذكار وإسفار.. نحتفل بذكرى آدم لله من أوادم لا حصر لها.. ولا بدء لها.. ولا انتهاء لها.. ولا نهاية لها.. ولا عدَّ لها من إنسان معناه.

به عرفناه شرف العبودية للربوبية، به عرفنا أن الألوهية في العبد كما هي في الرب.. هي الله من ورائهما محيط. به عرفنا أن المحيط في دائرته لا نهاية لها، مدانى بإحاطته لا انتهاء لها.. حتى وحدانيته في ذاته للواحد الأحد في صفاته. به عرفنا أن العبودية لله هي طلعة الله ووجه الله. به عرفنا أن العبودية لله هي بداية الكائنات مخلوقة محققة وهي نهاية الحقائق مكرمة مشرفة مجددة. به عرفنا أن الإنسان في أحسن تقويم وأن الإنسان أسفل سافلين هو الإنسان - ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان - وهو به ظاهر في أزل -. به عرفنا شرف الإنسان من الله في ظهور الله

بالإنسان للإنسان عبدا رسولا وحقا مرسِلا. به عرفنا أن شرف الإنسان هو شرف الله. وبه عرفنا أن شرف الإنسان إنما هو في ظهور الله به. به عرفنا أن الإنسان وربه قياما واحدا لا تعدد فيه، العبد هو عين الرب والرب هو عين العبد في الله. به عرفنا كل الدين، وبه جمعنا الدين من أطرافه من بداياته إلى نهاياته، فإذا الدين هو الرب ببداياته وهو عبد الله بنهاياته، وهو الله من ورائهما محيط بقيامه وقياماته. به عرفنا أن هذه الأرض التي نعيش عليها ونتواجد من ترابها هي أرض البداية، أو أرض البدايات، أو هي أرض آدم، أو أرض الأوادم، وهي أرض الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. انشقت عنها أوادم لله عوالم له على صورتها، يوم انشق عنها عبد الله ورسول الله، ويوم ينشق عنها عبد الله ورسول الله مرة أخرى ربا لها، فتشرق الأَمَة الوالدة بنور سيدها الوليد، تشرق الأرض الحزينة بنور ربها السعيد، فتسعد الأم بولدها وينقضي زمان شقائها، يجعل الله من ولدها تحتها سريا يحملها ويحمل ركب عوالمها إلى ربه وربها من اللانهائي، يحملها إلى الرفيق الأعلى من الوجود ومن الحياة في دورة دائبة منتظمة لأوادم الله في إنسان سرمديته.

بمحمد في قديم وبمحمد في مستديم أشرقت الأرض وتشرق بنور ربها، ووضع ويوضع الكتاب وجيء ويجاء بالنبيين والشهداء، وقضي بينهم ويقضى، وأخذ بمحمد ميثاقهم ويؤخذ، وبارك ربهم هذا الميثاق ويباركه، وشهده ويشهده، وأعطى العهد بقدرته على إنفاذه، ويعطي وهو على ما فعل يوم فعل بصمدي فعله في قانون خلقه في قديم له وللأنبياء، في حضرة من حضرات قدمه يفعل في دورة تجليه بخلقه يوم يتجلى بمحمد ذكر رحمته وحق دعوته.

ألم يصلي محمد بالنبيين إماما في المسجد الأقصى وقد عنون لهم المسجد الحرام لربه؟ فقاموا صفوفا من خلفه يستقبلون البيت المرفوع للرفيق الأعلى من قديمه.. يقودهم إلى ربه وربهم سيدا لهم وسيدا عليهم بجديده، سيدا لولد آدم وعلما للبيت الموضوع يعرف بيته لأبيه الذي شب ونما فيه، ثم وضع منه كلمة تمت للناس وأول بيت يوضع للعالمين من كل الأجناس، يأخذ إخوته وأبناءه إلى بيت أبوتهم مرفوعا، شافعا مشفّعا من أبيه ورب أبيه، مرضيا بشفاعته من أخوته وبنيه.. روح قدس الله، وعبد قديمه، وتكاثر جديده، ويد عهده، وتابوت دوامه، وسر ذاته، ومجمع صفاته، وإنسان تواجده، وكتاب كتبه، ورسول رسله، وعبد عبوديته، ومظهر عظمته، وحوض رحمته، وحق طلعته، وعلم وحدانيته، وصمدي عبوديته، ورسول ربوبيته.

ماذا عرف قوم رسول الله عن رسول الله؟ وكيف واصل أو اتصل أتباع رسول الله برسول الله؟ هل وثقوا معه أوشاج الروابط بمحبته، فسعدوا بينهم بدوام طلعته؟! هل سلكوا سبيل هديه، وسبيل كتابه، وسبيل بلاغه، ولم يجدوا ما حمل إليهم من ربه على لسانه وبيده، غير الصدق وغير الحق؟! هل

عجز الله عن نصرتهم؟ هل غاب ربهم عن وصلتهم؟ هل اختفى رسوله عن نجدتهم؟ هل غاب وجهه من قبلتهم؟

اقرأوا تاريخكم وتاريخ آبائكم، وتأملوه وتحرروا من أوهام أنفسكم، واحكموا أنتم على أنفسكم، في حكمكم على آبائكم.. هل آمن بمحمد قوم محمد في عصر محمد على ما يليق من الإيمان بمحمد لله أو رسول لله؟ هل أدرك من سمعوا محمدا ما أسمعهم محمد؟ وهل قدر هو إدراكهم لما سمعوا فشهد لهم أم أشهد أنهم ناقلوه ولم يدركوه؟ هل كان لما سمعوا أثرا في قلوبهم فظهر له أثر في أفعالهم وفي تاريخهم أم أن أثره كان على نفوسهم فتلقفوه ببطونهم؟ انظروا وتأملوا.. إنكم من بعدهم وبفعلهم تعبدون أوهامكم والتاريخ بين أيديكم على خيال منكم وخيال من أخيلة سابقيكم من الآباء والأجداد. تصفون الرسول وصف الناس بالطهر والأمانة - وقد كانوا معه مع الطهر والأمانة - ولكنهم لم يكسبوا الطهر أو الأمانة إلا من رحم الله. وها أنتم تفتقرون في بيئتكم وفي جمعكم للطهر والأمانة فلماذا أنتم بلا طهر ولا أمانة؟ لأنكم تواجدتم في ميراث من حياة لا طهر فيها ولا أمانة، وإن وجد فعلى تناقص لا على مزيد. فإذا كان هناك بقايا من الطهر والأمانة لأفراد من الناس فإنها تتناقص في جمعكم وإن تزايدت في مفردات منكم مكبوتة في قماقم أنفسهم وذواتهم. أنتم أمة العرب وأمة المسلمين، وقد تشهدون من الطهر والأمانة في أمم من أمم الأرض دونكم.

إن الطهر والأمانة على ما كان من الله لأهل الأرض لم يرفعا بعد عطاء.. فإن الله لا يرفع رحمته التي أعطى، وإن الله لا يرفع الطهر الذي أعطى، وإن الله لا يسترد الأمانة التي أعطي.. ولكن ذلك يحبس في ذوات منكم عنكم إلا عمن كان له من الله رحمة.

إن الرسول - وهو الصادق - وإن مرسِله - وهو القادر - يقول لكم (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)[1]. صدق رسول الله وصدق الله على لسان رسول الله. نعم الخير فيه وفي أمته إلى يوم القيامة لا ينقطع ولا يغيب ولا يرفع. وما أمته إلا أهل الأرض جميعا وإن لم يعلموا قدره، وإن لم يرددوا ذكره.. فهو معاني السجود في نفس كل ساجد، وهو معاني العبودية في نفس كل عابد، وهو معاني النور في كل نفس مستنيرة، وهو معاني الوعي في كل عقل مستيقظ، وهو معاني الحرية في كل نفس أبية رأت أن الحرية في الله بالله لا يقدر طاغوت على كبت حريتها في الوجود، أو قطع علاقتها بالرب الحق المعبود.

هذا كله جاء به محمد وبقي في الأرض من بعده مكبوتا أو منتشرا، مباحا أو محرما، موروداً أو محروما منه، معروفا أو مجهولا. هذا نذكره الآن مع الناس ونحن طوال العام ممن نذكره مع أنفسنا، نذكره بمناسبة تذكر الناس لرسول الله.. ونحن نتذكر معهم رسول الله وإن لم يغب عنا تذكره. فله عندنا

ذكرى في كل يوم وليلة مع أوقاتنا في مسراتنا وفي ضيقنا، مع أنفسنا في يقظتنا وهي له، وفي غفلتنا وهي عنه لا تكون. إن رسول الله لا يغيب عن ذاكرتنا ولا عن معاينا ولا عن حياتنا. إنا نعيش في ذكرى رسول الله، إنا نرى الدهر ونرى الزمان ونرى القرون ونرى الأيام تمر في داخل ذكرى رسول الله.. هذا إيماننا برسول الله إيمانا بمرسله وإيمانا بالحق به في أنفسنا. وهذا ما يليق أن يكون عليه إسلام المسلم، وإيمان المؤمن، ومعرفة العارف، ويقين صاحب اليقين. إنا لا نعرف من الله إلا رسول الله، ورسول رسول الله، ورسول الله لرسول الله. ما كنا كذلك فقد جددنا إسلامنا لرسول الله، وجددنا بتجديد إسلامنا إيماننا بالله الحي القيوم.

هذه هي معاني الطريق، وهذه هي معاني الكتاب. وهذا هو معنى الإسلام. فهلا جددنا دواما إسلامنا لرسول الله وإيماننا بالله في إيماننا برسول الله، واستزدنا في دوام معرفتنا بالله في معرفتنا دواما بأنفسنا من رسول الله فشهدنا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟

لقد صدقناك وآمنا بالله قائما على كل نفس أقرب إليها من حبل الوريد.

رسول الله.. ولقد صدقنا الله وآمنا بك أولى بنا من أنفسنا وأزواجك أمهاتنا..

رسول الله.. افتح لنا أبواب بيتك لنكون من أهلك.

رسول الله.. هيئ لنا أسباب الصلاة، وائذن لنا بالصلة بك لنكون على صلة بحقك أنت به على صلة في دوام.

رسول الله.. إن أحوالنا ترفع إليك وهي كما تعلم..

رسول الله.. فاستغفر لنا واسأل الله لنا وأمدد يدك - يد رحمته -، فانتشلنا من هوة أنفسنا، ونجدة منك ننتظرها لنسعدها فتولنا.. صل علينا كما أُذن لك، واتسع برحمتك لنا لتغفر بك ذنوبنا على ما وعدنا ربك بك، واشفع لنا عند ربك على ما أذن لك وتعهدت.. فإن حالنا لا ترضيك ولا تُرضي من يرتضي ما يرضيك.. فإن لم تكن لنا أنت ومن له أنت.. فمن يكون لنا؟ لقد تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافكم ولا يرحمنا. إن الأرض تهتز وترجف تحت أقدامنا حنانا وإشفاقا علينا ونحن لا نشفق على أنفسنا، ولا نحّن لرحمة الله لنا، ولا نحرص على حب الله لنا في تحابينا إلى بعضنا البعض وفي مسالمتنا بعضنا البعض.. إن القابض على دينه اليوم كالقابض على الجمر، وها هي قوارع القضاء والقدر من حولنا تزلزل نفوسنا. ها هو سلام أرضنا يهتز وأرضنا ترجف، وقلوبنا متحجرة لا ترق ولا تعطف..

اللهم أنزل سكينتك على قلوب المؤمنين منا، والسلم والسلام على أرضنا، وخذ بيدنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على أنفسنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، إنك أنت الأعز الأكرم..

اللهم لا تتركنا لأنفسنا حكاما ومحكومين، وتولَنا بتوجيهك وعدلك حكاما ومحكومين، واغفر لنا وتب علينا وارحمنا، واجعل خير أيامنا يوم لقائك وخير أعمالنا خواتيمها.

أضواء على الطريق

الرسالة الروحية في هذا اليوم من أيام الله هي:

- عودة الرسالة الفطرية للظهور العام بالكلمة والروح للإنسان الأمة العبد الحق للانهائي.
- من السماء عنه تنشق أمة بالأرواح المرشدة.
- ومن الأرض عنه تنشق أمة بالوسطاء الرائدة.
- بعودة الآباء للأبناء ليكونوا آباء وأبناء، من بطبعهم على قديم الجنس بالمسح، فلا صاحبة ولا ولد.
- على رأس الأرواح المرشدة مرشد ودائرة له متنكرون بأسماء رمزية في عالمي الروح من البشرية الأرضية، وعوالمها الكوكبية، وعوالمها الروحية، فهو من ملأ أعلى ويداني اليوم بقديم له، كان له ظهور متكرر، معروف بيننا وما زلنا نعيش في آثار تذكر من بقايا هديه وعمله، فلا يصح أن يشغلنا عن الرسالة من يكون أو كان الرسول على حد تعبيره، فهو عبد من عباد الله أي روح من روح الله أي قبس من نور الله وكفى، على ما قدّم نفسه.. ولنستمع له وهو يقول:
- (إن التمثيل الباطل للألوهية أخطبوط ضخم أمامنا يجب أن نقاتله. علينا أن نهدم عمل القرون. علينا أن ندمر ما جد من بناء زائف فوق أسس العقائد).
- ولنتأمل ما حذرنا منه رسول الفطرة بيننا وهو يقول (بدأ الإسلام غريبا ويعود كما بدأ)[٢]، ولنستبشر لنفاذ وعده بنجدتنا وهو يقول: أول من تنشق عنه الأرض أنا، ونفاذ وعد الله في قوله {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٣]، وقد بدأ هذا اليوم من قرن ويزيد ونحن في انتظار سفور هذه الحقيقة.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٢ حديث شريف: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا." صحيح مسلم.

٣ سورة الإسراء - ٧٩